الفصل الثالث

الجهاز التناسلي في المرأة

عندما تصل الفتاة الى دور المراهقة تطرأ عليها ظاهرة ذات اهمية كبرى في حياتها . وهذه الظاهرة هي حدوث « الطمث » .

بين سن البلوغ وسن اليأس ، تصاب المرأة بنزف رحمي خفيف كل ثمانية وعشرين يوماً ، ويدوم من خمسة الى ثمانية ايام . هذا هو الطمث . وظهوره في الابنة دليلٌ على ان الطبيعة قد اعدتها لدورها في الحياة ، واصبح مبيضها قادراً على التبويض .

والتبويض يحدث مرة في الشهر ، فتنمو في المبيض حويصلة تسمّى « حويصلة غراف » . وكلما كبرت هذه الحويصلة اقتربت من حافة المبيض فتنفجر وتخرج منها بويضة تلتقطها قناة « فيلوب » بواسطة فوهة القناة المشرشرة

وتقذف بها الى داخل القناة . ويرافق هـذه العملية تضخم في حائط الرحم المخاطي ، ثم يعقب هـذا التضخم اندثار الحائط المذكور اندثاراً جزئياً فيحصل النزف المسمّى طمثاً. اما اذا التقت البويضة وهي في القناة بنطفة منوية بعد جماع المرأة مع الرجل ، فيحصل من هذا الالتحام حبل ، فتصبح الجرثومتان جرثومة واحدة هي نواة الجنين . ثم تنتقل هذه الجرثومة الموحدة الى جوف الرحم بواسطة خيوط ميكروسكوبية في حائط القناة الداخلي . ويقف الطمث طوال مدة الحبل من تأثير « الجسم الاصفر » المتكوّن في حويصلة غراف بعد ان تغادرها البويضة ، اذ يمتلىء جوف الحويصلة بدمٍ متجمّد وكريّات من الحائط المخاطي . وهذا الجسم الاصفر يدوم كل مدة الحبل بعكس الجسم الاصفر المتكوّن من حويصلة لم تُلقّح ، اذ ان هذا الاخير يمتص بمدة لا تزيد عن يومين او ثلاثة ليتكوّن غيره في الشهر التالي.

والطمث ظاهرة الانوثة الحقيقية . والابنة التي تحرم منها « خنثى » ذات عاهة خلقية لا تصلح للحبل ولا للتوليد .

ومع ان الطمث يظهر في الرحم غير ان عمليته يقوم بتدبيرها المبيض الذي يفرز مادة « هورمونية » تسمّى

« اوسترين » هي الدافع لحدوث الطمث . والمبيض لا يفرز هذه المادة الاّ بناءً على تفاعل بينه وبين بقية الغدد الصمّاء لا سيما الغدة النخامية والغدة الدرقية .

والطمث حادث فيزيولوجي بحت . غير ان فيزيولوجيته ليست سبباً لاهمال امره وعدم الاهتمام به كي لا ينقلب الى حالة مرضية . فالابنة ابّان الطمث يلزمها من العناية والوقاية والنظافة الموضعية الخاصّة ما يمكن صرف النظر عنه عندما لا يكون . هي بحاجة الى راحة نوعية ، ان في اشغالها او في رياضتها او باتقاء التغيرات الجويّة . وقد يأتي الطمث ويذهب دون وجع او ازعاج . ولكن قد ترافقه احياناً آلام في الظهر وفي اسفل البطن وانزعاجات مختلفة ، كازدياد في كمية الدم او عدم انتظام في مواعيد ظهوره الخ . كل هذه الاشتراكات لا يجوز السكوت عنها ، ويجب ان يستشار الطبيب بشأنها . اما الاعتقاد المتفشي في كثير من الاوساط الشرقية انه من العيب ان تكون اشتراكات الطمث دافعاً لاهتمام الابنة وعائلتها ومداواتها ، فهو اعتقاد باطل بل اعتقاد مجرم . فكم من ابنة اهملت هذه الناحية تمسكاً بالتقاليد البالية وهرباً من العيب الوهمي ، فكانت النتيجة وبالاً عليها وعلى صحتها ومستقبل حياتها .

ان للجهاز التناسلي والجنسي في الفتاة ، وهو بحالة التحفز للعمل ، لأكبر تأثير عليها . وكل وظائف الجسم تتأثر به وتعتل باعتلاله . اما استقراره فيساعد على استقرار وظائف مختلف الاجهزة الحيوية .

ما هي الاعضاء التي يتألف منها الجهاز الجنسي في المرأة ؟

يتكوّن الجهاز الجنسي في المرأة من بضعة اعضاء يقع معظمها في المنطقة السفلى من البطن . وهذه الاعضاء تعمل في ميدان واحد ويساهم واحدها مع الآخر مساهمة تجعل من جميعها شركاء في رأس المال وفي الجهاد وفي الارباح . فبينما الواحد يكوّن البويضة ، اذا بالثاني يحملها في مبعادها لتتحد مع النطفة المنوية من الرجل ، والثالث يؤوي الخلية المتكوّنة من هذا الاتحاد ، فتعيش فيه وتربو جنيناً مدة عشرة اشهر قمرية ، واذا بالرابع يغذّي الوليد ويهيء له اسباب الحياة . هكذا كل عضو يعمل عمله ، ويهيء للدور الذي سيعمله العضو الثاني ، والكل مشترك في الاجر والثواب عندما يظهر للوجود هذا الكائن الحيّ المسمّى انساناً .

فالجهاز الذي يتوقف على عمله بقاء الجنس البشري ، والذي يقدم هذا المخلوق العجب الذي انتزع من الطبيعة

قوى مختلفة استعملها لخدمته ، وهذّبها لتكون طوع ارادته ، والذي استقوى على كل ما دبَّ على الارض وعلى كل ذي حياة فيها ، والذي استخدم عناصر الطبيعة لمآربه وغاياته ، والذي اكتشف سرائر الوجود ، وابتدع الالوهيات من اللاوجود ، هذا المخلوق الذي اوجدته الطبيعة فعقّها ، وغزا عناصرها ، واستخدم قواها ، واستعمر ارجاءها ، واستثمر خيراتها ، هـذا المخلوق ، ابن الطبيعة ومهذبها ، صنيعتهـا ومروّضها ، كيف وجد ، وكيف تربّى ، ومن احاطـه بعنايته ؟ كل هذه الامور يجب ان يعرفها المجتمع الراقي لا سيما المرأة التي لها اليد الطولى والدور الاهم في تحضيرها وتنسيقها .

ان المرأة اذا لم تكن هي وحدها علّة وجود الانسان، فهي مهـد نشأته . ففي احشائها تكوّن ، ومن دمهـا تغذّى ، ومن صميم حياتها انتزعتـه القدرة انساناً ليكمل عمل الانسان

فإليك ايها القارىء وصفاً مختصراً لهذا الجهاز العجيب ولعمله الاعجب :

ان الاعضاء الاساسية في هـذا الجهـاز هي : المبيض ، الرحم ، قناة فيلوب ، المهبـل ، الثدي ومع ان هـذه

الاعضاء ذات علاقة وثيقة بغيرها ، ومع ان انجاز عملها يتطلب مساهمة غيرها من الاعضاء ، غير انها وحدها تعرف بالاعضاء الجنسية والتناسلية . ولذلك نكتفي بوصفها كي لا نرمي القارىء في يمٍّ من الابحاث الطبية التي يصعب عليه ادراكها ، ولربما اضاعت عليه فهم ما يجدر به ان يكتفي بمعرفته .

المبيض

هو عضوٌ ، او بالاحرى غدة صماء بحجم اللوزة ، يقع في اسفل البطن ، واحد على الجهة اليمنى وآخر على الجهة اليسرى من الرحم . وهو ضمن طبقة من الرباط العريض تحت القسم الاعلى من قناة فيلوب . والمبيض عند المرأة يقابل الخصية عند الرجل .

وظيفته على نوعين : النوع الاول تناسلي ، وهو افراز وتجهيز البويضة التي باتحادها مع نطفة الرجل تكوّن الجنين. والنوع الثاني بث افرازات داخلية في الدم لها تأثير عام في نموّ الجسم .

والمبيض لا يقوم بوظيفته التناسلية مدى الحياة . فهو يعمل فقط في اثناء الحياة التناسلية ، اي بين سن البلوغ

وسن الانقطاع او سن اليأس . ففي هذه الاثناء ينمو في المبيض الوف عديدة من البويضات ، غير ان ما يصل منها الى البلوغ لا يتجاوز بضع مئات . اما التي تحظى ببركة التلقيح فلا يتجاوز عددها العشرين او الثلاثين . ولولا ذلك لتكاثر الجنس البشري تكاثر النمل ، وازدادت بذلك مصائب الانسان ، ومطامعه ، ومزاحماته ، وحروبه ، وويلاته . تباركت الطبيعة ، ما ادهش اعمالها ، ان في كل منها حكمة رائعة.

اما كيف تبلغ البويضة ، وكيف تنفجر ، وكيف تتلقّح ، فقد ذكرناه في حديثنا عن الطمث .

الرحم

هي عضوٌ اجوف ، ذو حيطانٍ قوية ، مشتملة على ثلاث طبقاتٍ : طبقة داخلية غشائية تحوي كثيراً من الغدد الافرازية ، وطبقة وسطية عضليّة ، وطبقة خارجية غلافية مجتزئة من البريتون .

والرحم موجودة في اسفل البطن ، بين المثانة من الامام والمستقيم من الوراء ، وتتصل بالاثنين بواسطة تعاريج بريتونية تجعل الرحم وامراضها واشتراكاتها ذات تأثير على هذين العضوين وبالعكس .

وتقسم الرحم الى قسمين : العنق والجسم . يبدأ العنق بفوهة خارجية تظهر للعين عند وضع المنظار ، ثم يلي الفوهة الخارجية قناة العنق ، ثم فوهة داخلية تصلها بجسم الرحم .

حجم الرحم ستة سنتيمترات طولاً قبل الحبل . اما بعد الحبل والولادة فلا يرجع الى اقل من سبعة سنتيمترات . اما عرضها فحوالى الاربعة سنتيمترات . وفي الصغار يأخذ العنق القسم الاكبر من الرحم .

تعمل الرحم عملهـــا الحيضي كل ثمانية وعشرين يوماً ، فتحتقن بطانتها الداخليـة وتنتفخ ، ثم تندثر اندثاراً جزئياً ويحدث الطمث ، الذي يدوم في الحالات الطبيعية من ستة الى ثمانية ايام . وهذا العمل لا تقوم به الرحم الاّ بنـاء على ما يسبقه من بلوغ وانفجار حويصلة غراف في المبيض كما ذكرنا آنفاً .

وهنا الوظيفة الاكـثر اهمية للرحم ، وهي انها عشُّ الجنين ومأواه ، مدة عشرة اشهر قمريّة . ولهذا تسميه العامة « بيت الاولاد » . فهي تحمله ، وتربيه ، وتغذيه من دم امه بواسطـة المشيمة الملزقة بجائطها . والرحم تكبر مـدة الحبل يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر الى ان يبلغ قياسهـا الثلاثين الى الاربعين سنتيمتراً ووزنها الف غرام عوضاً عن

اربعين غراماً قبل الحبل .

والرحم سريعة العطب لما تتعرّض له من أخطار واشتراكات اثناء الحمل والولادة او الاجهاض . فهي معرّضة للاحتقانات والالتهابات المختلفة . ولا اظن ان عضواً من اعضاء المرأة يلزمه من العناية قدر ما يلزم الرحم . والسرطان ، هذا الداء المخيف الوبيل ، يفضل في المرأة رحمها . ولذلك على المرأة ان تتحقق من صحة الرحم وبقية اعضائها الجنسية من طبيبها ولو مرة في كل سنة . وليس من قبيل السفسطة قولهم في اللغة الانكليزية : « محور المرأة رحمها . »

قناتا فيلوب

هما قناتان ضمن الرباط العريض ، واحدة من كل جهة ، تفتح من الطرف الواحد الى الرحم ، ومن الطرف الثاني الى التجويف البريتوني في البطن حيث تنتهي بفوهة مشرشرة الاطراف . وهذه الفوهة تلتقط البويضة بواسطة تموّجاتها عندما تخرج هذه من حويصلة غراف المنفجرة لتقذف بها الى داخل القناة ، حتى اذا التقت هناك بالنطفة المنوية اتحدتا سويّة ليتكون من هذا الاتحاد الخلية الاولى ، نواة الجنين . وهذا الاتحاد يقع غالباً في الثلث الخارجي من القناة ، ومنه

تسير الخلية الى الرحم بواسطة تموّجات خيوط ميكروسكوبية على حائط القناة الداخلي . وهذه الخيوط دور هام في المساعدة على نقل الخلية ، اذ لولاها لبقي الحبل داخل القناة، وهي حالة خطرة تستلزم تدخل الجراحة لاستئصالها .

ولقناة فيلوب اهمية كبرى في حياة المرأة التناسلية . فمعظم الاوجاع التي تنتابها ، ان في اسفل بطنها او في ظهرها ، مسببة عن اصابة احدى القناتين او كلتيهما بعطب يسترعي الانتباه والمعالجة . ومتى انسدّت القناتان لسبب من الاسباب تعذر على البويضة الانتقال ، وبالتالي الالتقاء مع النطفة المنوية . وهذا سبب من اسباب العقم . وانسداد القناة ليس بالامر النادر وقوعه . فهو ينتج عن التهابات رحمية تسربت الى القناة ، او عن التهاب بريتوني اشرك القناة باضراره ، او عن اورام ضاغطة في الجدار ، او عن اسباب اخرى متعددة . ومتى عرفنا ان اكثر اسباب العقم الاكتسابي هو نتيجة انسداد القناتين ، تبيّن لنا الدور العظيم الذي تلعبانه في حياة المرأة .

المهبل

هو قناة عضليّة ، تبدأ عند الشفرتين ، وتنتهي عند الرحم حيث عنق الثانية يدخل فيها ويحاط بها . طوله من ثمانية

الى عشرة سنتيمترات ، حسب اختلاف طول المرأة وضخامة جسمها ، وما اذا كانت ولوداً ام لا . وظيفته انه واسطة الجماع بين الرجل والمرأة ، وهو يحوي في جدرانه غدداً افرازية لتبقيه طرياً . ومدخل المهبل قبل الزواج مغطّى بغشاءٍ مخاطيّ رقيق جداً يسمّى « غشاء البكارة » ، وهو غشاء املس ، تخترقه ثقوب متعددة ، يسري منها دم الطمث في الابنة . وقد تختلف هذه الثقوب في حجمها وشكلها ، وقد لا يكون هناك سوى ثقب واحد متوسع ، ولربما كان توسعه احياناً سبباً لعدم تمزقه اثناء الجماع الاول. وكم من مشكلة زوجية اثيرت في هذه الحالة . ومما لا شك فيه ان هذا الغشاء وسلامته لا يجوز ان يتخذ دليلاً قاطعاً على البكارة . والاطلاق الذي تجيزه العامة على ادانة الفتاة في حالة عدم حصول نزف في الليلة الاولى من الزواج خطأ. فيجب على الطبيب الفاحص في هذه الحالات ان يدرس الامر بدقة ويعرف المخالفات والشذوذ الفنّي والتشريحي قبل ان يلفظ حكمه الجازم . وقد ذكرت حوادث عديدة كان فيها غشاء البكارة مفقوداً في الاصل .

الثدي

ان الثدي في المرأة عضوٌ من الاعضاء الجنسية . فهو

يتأثر بمؤثرات الجنس ، ويحتوي على نسيج سريع التهيّج والتحسّس اذا ما ساورت المرأة انفعالات داخلية وحسيّة ، كما ان الثديين يشكلان عنصراً من عناصر الجمال فيها . وهو غير الثدي في الرجل الذي تحكم عليه الطبيعة بالضمور لعدم الحاجة اليه .

وللثدي دور هام جداً في حياة المرأة التناسلية . فهو يقوم بوظيفة حيوية ، الا وهي تغذية الوليد . وقيامه بهذه الوظيفة الهامّة قد يعرضه احياناً لالتهابات صديديّة تستلزم التدخل الجراحي . ويتضخم الثدي اثناء الحبل والرضاعة ، وله تأثير عكسيّ على المبيض اذ يمتنع هذا عن التبويض اثناء الرضاعة فيسبب وقف الحيض .

والثديان غدتان كبيرتان في اعلى الصدر من الوجهة الامامية ، مركّبتان من انسجة غددية اشبه ما يكون بعنقود العنب ، تفرز الحليب الى اقنية متعددة تتجمع كلها لتصب في حلمة الثدي التي يمتصها الطفل لتعطيه من نخاريبها غذاء لحياته .